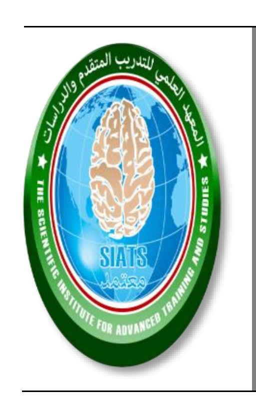


SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد **5**، العدد 3، يوليو 2019م

e-ISSN: 2289-9065

تنوع السياق القرآني في سورة الكهف

(دراسة تطبيقية)

The Diversity of the Quranic Context in Surat Al Kahf (An Application study)

وليد أحمد عبد الحبيب بن زياد

Alziadee6@gmail.com

د. محمد التراحيم محمد رزالي

د. محمد فتحي محمد عبد الجليل

كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة (FKI) بجامعة السلطان زين العابدين (UniSZA)

2019م – 1440 هـ

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/4/2019
Received in revised form1/5/2019
Accepted 20/6/2019
Available online 15/7/2019

ABSTRACT

The semanticity of context is one of the most important signs of understanding of the Quranic text, and it is the result of studying the text, which is continuous and harmonious it expresses its meaning in relation of the former and the latter. Its goal is to take care of Allah Almighty's Book in an exceptional manner to highlight the great efforts of commentators to extract wisdoms from the verses of Holy Book, and deduce the rulings from them. Thus, this article tackles and clarifies the understanding of a problem and an issue in the Qur'an's issues which the Qur'anic sciences' heritage manifested in the diversity of Qur'anic context in the Surat Al- Kahf (Cave) where we discussed the definition of diversity in Qur'anic context linguistically and terminologically. Then, the article talked about the context's types, the methods and forms of diversity in the Qur'an through the study and application of diversity in the verses of the Surat Al- Kahf. In this article, the researcher found five positions for the contextual diversity in the Surat Al- Kahf in different names as we shall explain in this article. So, I liked to contribute to enrich the scientific library with the Qur'an and its sciences through the offering the article. In addition, I found the desire to present this topic as a participation to gain the honor to serve the Holy Qur'an. I seek Allah's aid and guidance for surly He is bounteous and generous.

Key words: diversity, context , Surat Al- Kahf



الملخص

إن دلالة السياق هي واحدة من أهم دلالات فهم النص القرآني، وهو عبارة عن نتيجة دراسة النص الذي هو متتابع منسجم فيتعبيره عن معناه باعتبار السابق واللاحق، الهدف منها الإعتناء بكتاب الله عز وجل أيما عناية، فكم استخرج المفسرون من حكم من آيات الكتاب العزيز، واستنبطوا فيه من أحكام، وهذا المقال يتناول ويبين الفهم من مشكلة و قضية من القضايا القرآنية التي يقوم عليها تراث علوم القرآن الكريم، والذي تتمثل في ظاهرة قديمة حديثة وهي (التنوع في السياق القرآني في سورة الكهف) حيث تناولنا في المقال التعريف بالتنوع في السياق القرآني لغة واطلاحا، ثم تحدثنا عن أنواعه، ثم عن أساليب وأشكال التنوع في القرآن الكريم من خلال دراسة وتطبيق التنوع في آيات سورة الكهف، فكانت من نتائج هذه المقالة أن الباحث وجد الكاتب خمسة مواضع للتنوع السياقي في سورة الكهف وهو بمسميات مختلفة كما سنبينه في هذه المقالة، لذا أحببت الإسهام بإثراء المكتبة العلمية في القرآن وعلومه من خلال تقديم المقالة، فوجدت بذلك الرغبة للمشاركة بهذا الموضوع لنيل الشرف في خدمة القرآن الكريم، فأسأل الله الإعانة والهداية والتوفيق، إنه جواد كريم.

مفاتيح الكلمات: التنوع و السياق، وسورة الكهف.



المبحث الأول: مفهوم التنوع في السياق

مفهوم التنوع في السياق القرآني مفهوم مركب من لفظتي تنوع و سياق، تقتضي المنهجية العلمية في تعريف المصطلحات المركبة البدء بتعريف مفرداتها المكونة لها، لذلك سيتم الوقوف على معاني مفردات هذا التعريف وهي (التنوع) و (السياق) ثم الوقوف على اعتباره مصطلحاً مركباً.

المطلب الأول: تعريف التنوع في السياق القرآني

تعريف التنوع في السياق القرآني من حيث اللغة والاصطلاح:

أولا: التنوع لغة: النَّوْعُ: كل ضرب من الشيء، وكل صنف، قال الجوهري: هو أي النوع أخص من الجنس، والجمع: أنواع، قّل أو كثر.

والنوع: التمايل، يقال: ناعَ الغُصْنُ نَوْعاً، وذلكَ إذا حَرَّكَتْهُ الرياح فتحرك وتمايل، قاله ابن دريد، والنوع كقولك: ما أدري على أي نوع هو، أي: وجه، ونَوَّعَتْهُ، أي: الغُصْنَ، الرياح تَنْوِيعاً: ضَرَبَتْهُ وحَرَّكَتْهُ فتَنَوَّعَ، أي: تمايَلَ وتحرك، وتنوع الشيء: صار أنواعاً وهو مُطَاوِعُ نَوَّعْتُهُ، وتَنَوَّعَ الغُصْنُ: تحرك، وهو مُطاوِعُ نَوَّعَتْهُ الرِّياحُ (1).

و(تنوع) الشيء تحرك وتمايل، يقال تنوع الغصن وتنوع الناعس على الرحل وتنوع الصبي في الأرجوحة والأشياء تصنفت وصارت أنواعا (المنواع) المنوال والطريقة والأسلوب (2).

وخلاصة ما سبق أن المقصود بالتنوع في هذا المبحث هو الطرق والأساليب والأوجه والأنواع.



السياق لغة

السياق لغة: ككتاب: المهر، والاسم: السوق و أصل السياق: سِواق، قلبت الواو ياء لكسرة السين، والسياق والسواق: مصدران من ساق، وهذا ما جعل ابن فارس يفسر السياق بالحدو، فقال: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدوا الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة: ما استيق من الدواب... والسوق مشتّقّة من هذا، لما يساق إليها من كلِّ شيء، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنّما سميت بذلك لأن الماشي يْنساق عليها.

المطلب الثاني: وقد أطلق العرب هذه الكلمة على معانٍ عديدة أهمها:

ـ جودة سرد الحديث يسمى سياقاً، والحث على السير من خلف، يقال: تساوقت الإبل: تتابعت، وسياق الكلام: أسلوبه ومجراه.

– "السياق: المهر... قيل للمهر سوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً؛ لأَنها كانت الغالب على أموالهم (3).

– ويقال: فلان في السياق: أي في النَّزع، ويبدو أن تسمية الموت (سياق) ناشئ من حال مفارقة الروح للجسد وقت الموت (4)، وهذا ما صرح به المناوي بقوله: " السياق، سوق الروح من أرجاء البدن إلى الخروج منه"(5).

السياق القرآني اصطلاحاً: بعد قراءة واسعة في الكتب والمؤلفات والرسائل التي اعتنت بتناول هذا الموضوع تبين للباحث أنه: لا يوجد تعريف اصطلاحي واضح للسياق القرآني، لكنه يكاد أن يكون من أكثر الألفاظ استعمالاً عند المفسرين على اختلاف مدارسهم، ومن الغريب أن تخلو هذه التفاسير وعلوم القرآن من تعريف واضح له، ولعل من أهم الأسباب التي توصل إليها الباحث في ذلك ما يلي:



الأول . منهم من حصر السياق بالجانب المقالي، ضمن حدود السباق واللحاق، (السباق: هو ما يسبق الآية)، (اللحاق:هو ما يتلوا الآية، أي: ما يأتي بعدها) (6).

الثاني . ومنهم من جعل السياق شاملاً عما سبق للحال أو المقام، وللمزيد من التفصيل والترجيح ومناقشة الأقوال في هذا الموضوع (7).

وبعد الاطلاع وجد الباحث أن هناك جهود متفرقة وقف عليها وتوصل من خلالها إلى استعمالات السياق في المعاني التالية:

الأول: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

الثاني: النظم والأسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.

الثالث: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها.

الرابع: القوانين النحوية التي عبر بها عن معنى النص، وهذا ما اختاره الجرجاني، فقد ورد في كتابه دلائل الإعجاز: (فصل في أهمية السياق للمعنى ... ليس النظم شيئاً إلاّ توخي معاني النحو وأحكامِه ووجوهِه وفروقه فيما بين معاني الكلم) (8).

وهذا غير المعنى السابق، إذ لا يقتصر على أسلوب نحوي، بل يتجاوز ذلك ليشمل أحكام التركيب النحوي الذي سُبك فيه النص كاملا، فتدخل فيها الأساليب وبقية المسائل النحوية.



المطلب الثالث: وتنوع السياق القرآني اصطلاحاً:

هو اختلاف الطرق والأساليب والأوجه مع اختلاف الأغراض التي سيقت لها الآيات في قوالب متعددة، وصياغات متنوعة، لبيان المعنى وتقريره في كتاب الله عز وجل مراعاة لما قبلها وما بعدها من القرائن اللفظية والحالية.

أنواع التنوع في السياق القرآني: عرفنا من خلال مقدمة المقالة أن السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وسيتم التوضيح أنه مكون من أربعة دوائر بعضها داخل في بعض ومبني عليه، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع (9).

النوع الأول سياق القرآن: ويقصد به مراد الله تعالى من كتابه العظيم، وهو معرفة الخلق ربهم، وعبادتهم إياه، ويخدم هذا الهدف ما سمي في كتب الأصول بمقاصد الدين والضروريات، يقول الشاطبي ـ رحمه الله: "فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل"(10).

النوع الثاني: سياق السورة: والسورة كلها وحدة متكاملة متناسقة الإيقاعات و الظلال (11).

النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات، وهو جزء من السورة له سياقه الخاص، يتناسب مع سياق السورة الكريمة.

النوع الرابع: سياق الآية: هو الجو العام الذي وضعت فيه الآية، وسباقها ما يسبقها، ولحاقها ما يتلوها (12)، وعلى سبيل المثال﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾(13)، قال ابن كثير ـ رحمه الله في تفسيره: "وسياق الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة"(14).



المبحث الثاني: التنوع في السياق القرآني

بعد الحديث عن الأنواع العامة لسياق القرآن الكريم ،التي هي محور البحث ومحتوى الدراسة والتطبيق، حيث سيقف الباحث على توضيح أساليب وأشكال تنوع السياق بالإضافة إلى الأمثلة:

المطلب الأول: معنى تنوع السياق القرآني:

"هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطرية واستدراراً للسامع وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والسئامة، ولحكم وأسرار سيتناولها الباحث لاحقاً، فالتنوع إذاً: هو انتقال في السياق من التكلم أو الخطاب أو الغيبة أو الإفراد أو التثنية أو الجمع إلى العكس منها بعد التعبير بالأول، وبشرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل هذا هو المشهور"(قاله الإمام السيوطي رحمه الله تعالى (15)، حيث أن الانتقال أو الالتفات من أجل علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وهو من علم المعاني، فإنه في الكلام، وينتقل من صيغة إلى صيغة، وقد لقب بعلم الشجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك، هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعا فإنه يرد الموارد الصعبة، ويقتحم الورط العظيمة حيث لايردها غيره، ولا يقتحمها سواه(16).

والتنوع له مسميات مختلفة، منهم من يسميه الإلتفات، ومنهم من يسميه خلاف الظاهر، ومنهم من يسميه التلوين الخطابي.

المطلب الثاني: صور وأشكال تنوع السياق القرآني في سورة الكهف

وهي (مكية) وعدد آياتها (110) آية .

أسمها: هو الاسم الذي اشتهرت به وكتبت في المصاحف وكتب التفسير وعلوم القرآن وكتب الحديث كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق (17)، وفي حديث أبي الدرداء أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" (18).



وجه التسمية:

بسبب أن الله عز وجل ذكر فيها قصة أصحاب الكهف؛ وكذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سماها سورة الكهف كما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(19)، أنها نزلت لما سأله – أي الإسراء وهي مكية بالاتفاق، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة، وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك، فأنزل الله الجواب (20).

المبحث الثالث: التنوع في سورة الكهف:

وبعد أن بيّنّا ووضحّنا التعاريف بالسياق لغة واصطلاحاً وذكرنا أنواعه، الان سيتم دراسة وتطبيق التنوع السياقي من خلال آيات سورة الكهف وسيكون كتالي:

المطلب الأول: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾(21).

الدراسة والتطبيق على النص: حكمة التنوع هنا ""إظهار في مقام الإضمار؛ لأن (التنوع في السياق هنا)، أن يقال: إذ أووا، فعدل عن ذلك لما يدل عليه لفظ الفتية من كونهم أترابا متقاربي السن. وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: أذ أووا إلى الكهف، ودلت الفاء في جملة فقالوا على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله(22).

المطلب الثاني: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾(23).



الدراسة والتطبيق على النص: أي الأعمال الصالحات البقيات، أي التي لا زوال لها، أي لا زوال لخيرها، وهو ثوابها الخالد، فهي خير من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية.

وكان التنوع في السياق القرآني " في ترتيب الوصفين أن يقدم﴿ الصالحات ﴾على﴿ الباقيات ﴾؛ لأنهما وإن كانا وصفين لموصوف محذوف إلا أن أعرفهما في وصفيه ذلك المحذوف هو الصالحات. لأنه قد شاع أن يقال: الأعمال الصالحات ولا يقال الأعمال الباقيات، ولأن بقاءها مترتب على صلاحها، فلا جرم أن الصالحات وصف قام مقام الموصوف وأغنى عنه كثيرا في الكلام حتى صار لفظ﴿ الصالحات ﴾بمنزلة الاسم الدال على عمل خير، وذلك كثير في القرآن قال تعالى:﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(24). (25).

المطلب الثالث: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ (26).

الدراسة والتطبيق على النص: جاء القران الكريم بفعل (أراد) وأسنده إلى ضميره خاصة بقوله فَأَرَدْتُ وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه : فأردنا . وأراد ربك "

قال الزمخشري رحمه الله مبينا التنوع في أسلوب الخطاب في هذه الآيات من خلال إسناد الضمائر إلى فعل (أراد) " ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجبا، ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله﴿ فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما﴾و﴿فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما ﴾ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع اللّه تعالى، لأن المراد ثم عيب، فتأدب ثم نسب الإعابة إلى نفسه. وإما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا



كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُ ﴾ما فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير (27).

وذُكر في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي رحمه الله تعالى: "" لعل إسناد الإرادة الخ (هذا مما اقتدى فيه بالإمام في بيان نكتة تغاير الأسلوب فأسنده أوّلاً لنفسه لأنّ خرق السفينة وتعييبها بفعله، وثانياً إلى الله تعالى والى نفسه لأنّ ضمير أردنا لهما لأنّ إهلاك الغلام فعله وتبديل غيره موقوف عليه وهو بمحض فعل الله وقدرته، فلما تضمن الفعلين أتى بضمير مشترك بينهما وهو ظاهر إلا أنه اعترض عليه بأن اجتماع المخلوق مع اللّه في ضمير واحد لا سيما ضمير المتكلم فيه ترك أدب منهي عنه شرعاً، ولذا قال صلى الله عليه وسلم لخطيب قال في خطبته بعد ذكر الله ورسوله(ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت)، كما هو مقرر في كتب الحديث فالوجه أنه تفنن في التعبير والمراد هو فأفرد أوّلاً لأنّ مرتبة الإفراد مقدمة على غيرها، ثم أتى بضمير العظمة إشارة إلى علو مرتبته في معرفة الحكم إذ لا يقدم على ذلك القتل إلا من هو كذلك بخلاف التعييب، والأحسن ما في الانتصاف من أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا يعنون أمر الملك العظيم، وأسند الإبدال إلى الله إشارة إلى استقلاله بالفعل وأنّ الحاصل للعبد مجرّد مقارنة إرادة الفعل دون تأثير فيه كما هو المذهب الحق (28).

المطلب الرابع: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى:﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(29).

الدراسة والتطبيق على النص: من خلال دراستنا لهذه الآية سنبين التنوع في سياق أربعة أفعال وهي: (تستطع وتسطع) و (استطاع . واسطاع) لتجنب إعادة لفظ بعينه .ف(تسطع) و(تستطع) مضارع (اسطاع) و(استطاع)"حذف تاء الاستفعال تخفيفا لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ



تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه، وابتدئ بأشهرهما استعمالا وجيء بالثانية بالفعل المخفف لأن التخفيف أولى به لأنه إذا كرر﴿ تَسْتَطِع ﴾ يحصل من تكريره ثقل، وأكد الموصول الأول الواقع في قوله: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ تأكيدا للتعريض باللوم على عدم الصبر (30).

.وضمير(اسْتَطَاعُوا ﴾ليأجوج ومأجوج، والظهور: العلو كسر الردم، وعدم استطاعتهم ذلك لارتفاعه وصلابته، و﴿ اسْطَعُوا ﴾تخفيف﴿ اسْتَطَاعُوا ﴾، والجمع بينهما تفنن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة، وابتدئ بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقيل لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف.

ومقتضى الظاهر أن يبتدأ بفعل﴿ اسْطَعُوا ﴾ويثنى بفعل ﴿ اسْتَطَاعُوا ﴾، لأنه يثقل بالتكرير، كما وقع في قوله آنفاً(سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(31)، ثم قوله:﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾، ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى؛ لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى (32).

المطلب الخامس: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (33).

الدراسة والتطبيق على النص:

قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته، وكفروا بالبعث والثواب والعقاب، وذلك لأنهم كفروا بالنبي صلّى اللّه عليه وسلّم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ أي بطلت فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنا، قيل لا تقيم لهم ميزانا؛ لأن الميزان إنما توضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميزوا مقدار الطاعات ومقدار السيئات (34).



التنوع السياقي في قوله تعالى﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ ﴾بصيغة التكلم وذالك بعد ذكره سبحانه على سبيل الغيبة في قوله تعالى﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾، والحكمة في هذا التحول إلى نون العظمة زيادة تحقيرهم أي (أنا نزدري بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار)[35]فمدار الوزن والمقدار الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة [36]، وقد حول الأسلوب ليجذب الانتباه إلى هذا الغرض البلاغي فيتعظ العباد ويجهدوا أنفسهم لكسب العمل الصالح.

المطلب السادس: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(37).

الدراسة والتطبيق على النص: فكلمة ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ من قبل نفسه؛ فيستشكل الالتفات (التنوع) فيها عن الغيبة إلى التكلم في ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ بل هو جار على سنة القرآن فيه، وهو أبلغ في تصوير تسخير الله تعالى للملائكة في كتابة الأعمال من التعبير بضمير الغيبة (إن رسله يكتبون﴾ إلخ؛ لأن في ضمير الجمع من تصوير العظمة في هذا التدبير العظيم، والنظام الدقيق، ما يشعر به كل من له ذوق في هذه اللغة سيدة اللغات ، التي اعترف علماء اللغات من الإفرنج بأنها تفوق جميع لغاتهم، في التعبير عن صفات الله تعالى وكماله وعظمته، ومثل هذا الالتفات فيها قوله تعالى في آخر سورة الكهف:﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. وقرأ نافعويعقوب (يمكرون) بالمثناة التحتية، وفائدته الإعلام بأن ذلك شامل للغائبين كالحاضرين [38].

المطلب السابع: النص القرآني الذي وجد فيه التنوع:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[39].



الدراسة والتطبيق على النص: في قوله﴿ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾إعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا أدّعي إني ملك﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾، أي عليّ إنما هو مستند إلى وحي ربي، ونبه على الوحدانية لأنهم كانوا كفاراً بعبادة الأصنام، ثم حض على ما فيه النجاة وثم بمعنى يطمع﴿ رَبِّهِ ﴾، على تقدير محذوف أي حسن لقاء ربه، وقيل﴿ يَرْجُو ﴾، أي يخاف سوء﴿ لِقَاء رَبِّهِ ﴾، أي لقاء جزاء ربه، وحمل الرجاء على بابه أجود لبسط النفس إلى إحسان الله تعالى، ونهى عن الإشراك بعبادة الله تعالى. وقال ابن جبير: لا يرائي في عمله فلا يبتغي إلاّ وجه ربه خالصاً لا يخلط ... وقرأ الجمهور﴿ وَلا يُشْرِكْ ﴾، بياء الغائب كالأمر في قوله﴿ فَلْيَعْمَلْ ﴾، وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي عنه: ولا تشرك بالتاء خطاباً للسامع والتفاتاً (تنوعاً) من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، وهو المأمور بالعمل الصالح ثم عاد إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله بربه، ولم يأت التركيب بربك إيذاناً بأن الضميرين لمدلول واحد وهو من في قوله﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو ﴾(40).

وقال السمين الحلبي رحمه الله في تفسيره: ورُوي عن أبي عمروٍ﴿ وَلا يُشْرِكْ ﴾، بالتاءِ مِنْ فوقُ خطاباً على الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب ثم التُفِتَ في قولِه﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ﴾، إلى الأول، ولو جيْءَ على الالتفات الثاني: لقيل: ربك، والباءُ سببية، أي : بسبب . وقيل : بمعنى في (41).

النتائج

من خلال الدراسة والتطبيق للتنوع السياقي في سورة الكهف تم استنتاج الآتي:

أولاً: من صور التنوع في سورة الكهف تنوع اسناد الضمير في الأفعال (أراد و أردت وأراد ربك وأردنا) وهذه في صورة واحدة من خلال السورة كاملة.

ثانياً: أتى التنوع في سياق الأفعال في أربعة فقط، وهي (تستطع وستسطع) و (استطاع واسطاع) بإثبات التاء وحذفها، والسر في ذلك أن زيادة المبنى زيادة للمعنى.



ثالثاً: من أشكال التنوع في سورة الكهف، الخطاب من المتكلم في (نقيم) الى الغيبة (آيات ربهم ولقائه) وسر التفنن والتنوع زيادة لتحقير الكفار أو جذب الانتباه للعمل الصالح.

رابعاً: تنوع السياق القرآني من الحاضر (قل من كان) إلى المتكلم المعظم نفسه (جئنا) وهذه في صورة وشكل واحد في سورة الكهف.

خامساً: تنوع الخطاب من الغيبة في قوله (لقاء ربه) إلى المخاطب في قرآءة (ولا تشرك) بالتاء بدلا عن الياء، والسر في ذلك للتحذير من الشرك وأهله.

أخيراً وجد الباحث أن علماء التفسير اختلفوا في أسماء التنوع في السياق القرآني، منهم من يسميه مقتضى الظاهر كما في التحرير والتنوير، و منهم من سماه الالتفات، كما صاحب الكشاف، ومنهم من سماه التلوين الخطابي.

الهوامش

---

(1) الزَّبيدي، لمحمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى. (1994م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية ،ج: 2 ،ص: 287.

(2) الزيات وآخرون. (د،ت). المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية، ج:2 ، ص: 963.

(3) الزيات وآخرون. (د،ت). المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج:2 ، ص963.

(4) الزَّبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج: 2، ص: 287.

(5) المناوي، التعاريف لمحمد عبد الرؤوف. (1410). التوقيف على مهمات تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر . بيروت دمشق، ط1،ج: 1، ص:420.

(6) ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم رحمه الله. (1423هـ). شرح مقدمة التفسير، بشرح الشيخ محمد بن عمر بن سالم بازمول، هذا الشرح مفرغ من أشرطة، وضبط الآيات والأحاديث وخرجها: بعض طلبة العلم،ج: 1، ص:74.

(7) الشهراني، سعيد محمد. (د،ت). السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، وهي رسالة دكتوراه قيمة مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية ص: 22.



(8) الجرجاني، أبو بكر عبد القادربن عبد الرحمن بن محمد النحوي. (2004م). دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط5، ج:1 ،152.

(9) أبوصفية، عبد الوهاب الحارثي. (1989م).دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ص88.

(10) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. (1997 م). الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط1، ج: 1، ص: 31.

(11) سيد، قطب إبراهيم. رحمه الله. (د.ت). في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة ، ج: 1، ص: 338.

(12) ابن تيمية، شرح مقدمة التفسير شرح بازمول ، مرجع سابق، ج: 1، ص:74.

(13) سورة البقرة: 35.

(14) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1999م). تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2 ،ج: 1 ،ص: 233.

(15) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974م). الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج: 3، ص:314.

(16) المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسيني العلوي الطالبي. (1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت،ط1،ج:1، ص:71.

(17) القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1964م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2. ج:10 ،ص:346 .

(18) مسلم، بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. (د.ت)، الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة. بيروت. ج:2 ،ص: 199.

(19) سورة الإسراء: 85

(20) مسلم، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ج: 9 ،ص: 167.

(21) سورة الكهف: 10.

(22) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (2000م).التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان ، ط2، ج: 15،ص:24).

(23) سورة الكهف: 46.

(24) سورة الكهف: 36.

(25) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج: 15،ص: 77.



(26) سورة الكهف: ٧٩ ـ ٨٢.

(27) الزمخشرى، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (1407 هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي . بيروت. بتصرف يسيسر، ج: 2، ص:741.

(28) الشِّهَابِ، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي. (د،ت). حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي= عِنَايةُ القَاضِى وَكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، دار صادر . بيروت،ج: 6، ص: 129.

(29) سورة الكهف: 97.

(30) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج: 15، ص: 120.

(31) سورة الكهف: 78.

(32) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج: 15، ص: 136.

(33) سورة الكهف: 105.

(34) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير. (1415 هـ). (لباب التأويل في معاني التنزيل)، الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت، تحقيق: تصحيح محمد على شاهين، ج: 3 ، ص:179.

(35) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري. (1420 هـ) التفسير الكبير= مفاتيح الغيب (المتوفى: 606هـ) ،دار إحياء التراث العربي ،ط3، ج: 21، ص: 502.

(36) أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ج: 3، ص:410.

(37) سورة الكهف: 19.

(38) رشيد، محمد بن علي رضا.(1990م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: 12، ج: 11 ، ص: 275.

(39)سورة الكهف:110.

(40) أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير الأندلسي.(1420هـ). تفسير البحر المحيط الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج: 6، ص:125، بتصرف يسير.

(41) السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (د،ت). الدر المصون في علم الكتاب المكنون، لمحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: 11 ،ج: 1، ص: 3146.



المراجع

القرآن الكريم.

بازمول، محمد بن عمر سالم. (1423هـ). شرح مقدمة التفسير لابن تيمية. هذا الشرح مفرغ من أشرطة، وضبط الآيات والأحاديث وخرجها: بعض طلبة العلم

الجرجاني، أبو بكر عبد القادربن عبد الرحمن بن محمد النحوي. (2004م). دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.

أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير الأندلسي.(1420هـ). تفسير البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير. (1415 هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. تحقيق: محمد على شاهين بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري.(1420هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3.

رشيد، محمد بن علي رضا. (1990م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزَّبيدي، لمحمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى. (1994م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار الهداية.

الزمخشرى، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (1407 هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي . بيروت.

الزيات وآخرون. (د،ت). المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (د،ت). الدر المصون في علم الكتاب المكنون، لمحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: 11.

سيد، قطب إبراهيم ـ رحمه الله. (د.ت). في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة.



السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974 م). الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي .(1997 م). الموافقات. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1.

الشِّهَابِ، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي. (د،ت). حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي= عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار صادر . بيروت.

الشهراني، سعيد محمد.(د،ت). السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، وهي رسالة دكتوراه قيمة مقدمة لجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

أبو صفية، عبد الوهاب الحارثي. (1989م). دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم.

الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسيني العلوي. (1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: المكتبة العصرية. ط1.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (2000م). التحرير والتنوير. مؤسسة التاريخ العربي. بيروت. ط2.

القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية- القاهرة. ط2.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1999م). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط2.

مسلم، بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. (د.ت). الجامع الصحيح. بيروت: دار الجيل.

المناوي، لمحمد عبد الرؤوف. (1410). التوقيف علي مهمات. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت: دار الفكر المعاصر.



